

تكوين كومنندو فرقة الضفادع البشرية أثناء الثورة التحريرية

1962-1956

Human frogs' troupe commando formation during the liberating revolution 1956-1962

م م ش د حمري عيسى

م و د ب - ت ع ج / ن ع 1

الملخص :

سعت قيادة الثورة الجزائرية إلى تكوين كومنندو فرقة الضفادع البشرية من أجل إقحامها في حربها ضد فرنسا، فقدّمت لنا بذلك تجربة رائدة تهدف لتغيير أساليب الحرب المعتادة ضد الاستعمار، كانت لها أبعاد جديدة تساهم في تغيير مجريات المعركة من خلال نقلها إلى البحر كتخطيط حربي قوي وغير منتظر لمباغطة العدو، ورغم أن فرق الضفادع البشرية كانت قليلة في العالم إلا أنّ الثورة الجزائرية امتلكت هذا السلاح الاستراتيجي في نهاية سنة 1956م، بفريق مجهّز ومكوّن جيّد، وقادر على القيام بأيّ مهمّة تُوكّل إليه. وتمّ ذلك بإيعاز من أحمد بن بلة الذي وضع مخططاً لإستهداف السفن الحربية الفرنسية. ولم تكن هذه العملية خياراً ارتجالياً أو عفويّاً، وإنّما جاءت بناءً على تخطيط عسكري مدروس، له أبعاده التاريخية والحضارية، يقضي بمهاجمة سفن ميناء طولون الذي شهد انطلاق الحملة الفرنسية على الجزائر سنة 1830م، إلا أنّ إلقاء القبض على الوفد الخارجي بما فيه أحمد بن بلة حال دون تنفيذ العملية، فتّم توجيه فرقة الضفادع البشرية إلى مهام أخرى لا تقلّ عنها أهمية.

الكلمات المفتاحية:

الثورة الجزائرية، التكوين العسكري، فرقة الضفادع البشرية، أحمد بن بلة، التخطيط العسكري .

Abstract:

The Algerian Revolution leadership aimed to form the human frogs' troupe commando in order to interject it in its war against France. That is how it presented to us a leading experience, which aimed to change the ordinary war tools against the colonialism, with new dimensions contributing in changing the battle course; through transferring this latter to sea as a powerful and unexpected war planning to surprise the enemy. In addition, and even if the human frogs' troupes were very few in the world, the Algerian Revolution had this strategic weapon in possession at the end of the year 1956, with a well-equipped and formed group, which was also capable of accomplishing any mission entrusted to it. That has been done following the orders of Ahmed Ben Bella; who put a plan targeting the French battle ships. This operation was not a spontaneous option, but it came upon a military studied planning, with historical and civilized dimensions, which aimed to attack the Toulon Port ships that witnessed the starting of the French campaign against Algeria in 1830. However, arresting the extern delegation, including Ahmed Ben Bella, came against the execution of the operation. So, the human frogs' troupe was directed afterwards to do operations that are not less important.

Key words:

Algerian Revolution – Military formation – Human frogs' troupe – Ahmed Ben Bella – Military planning.

مقدمة:

رغم أهمية موضوع التكوين العسكري خلال الثورة بالخارج، إلا أنه لم يحظى بالإهتمام اللازم من طرف الباحثين، وعليه وجب إعطاء هذه القضية الهامة في مسار الثورة الجزائرية حقها من الدراسة والبحث، وتوثيقها في دراسات وأبحاث علمية تسعى إلى تجنب التراكم المعرفي، وإعطائها مزيداً من العناية والبحث والتمحيص. وقد اعتمدنا في توثيق هذه الدراسة رغم قلة المصادر والمراجع على ما تم تسجيله من شهادات شفوية أو ما يعرف بأرشيف الصدور، فقد وجدنا صعوبة كبيرة في التعامل مع المادة والموضوع معاً، وتجدر الإشارة إلى أن نجاح أحمد بن بلة في تكوين كومندوس للضفادع البشرية يرجع إلى الرؤية الاستراتيجية لقيادة الثورة في هذا المجال. خاصة إذا علمنا أنها أول ثورة انفردت بامتلاك هذا السلاح في دول المغرب العربي، الأمر الذي من شأنه قلب موازين المعركة ضد فرنسا.

1 - جذور فكرة تكوين الضفادع البشرية:

تعود فكرة الغطس في عمق البحر للقيام بعمليات عسكرية أو تكوين ضفادع بشرية تقوم بالغوص في أعماق البحر إلى ما طرحه الكاتب الفرنسي Jules VERNE جول فيرن¹ الذي كان يملك مخيلة واسعة، وفي تصورات الفكرة التي تجسدت في ادبياته بكتاب «عشرون ألف مكان تحت البحار» سنة 1870م، جسّد فيه فكرة الغوص في أعماق البحار، حيث يعود له الفضل في طرح هذا الموضوع الذي تحوّل من الخيال الأدبي إلى واقع أفرزته مجريات الشقّ العسكري في العالم المعاصر لاستخدامه كسلاح استراتيجي جديد يمتلك قوة هائلة ظهرت خلال الحرب العالمية الأولى، ولتتطور خلال الحرب العالمية الثانية باستعمال قارورات الأوكسجين، ومن رواد هذا الاختصاص نجد إيطاليا وإنجلترا وألمانيا وأمريكا ثم اليابان كأول الدول التي تملك هذا السلاح.

وخلال الثورة التحريرية جاءت فكرة تكوين فريق كومندو الضفادع البشرية خلال اللقاءات التي جمعت بين قيادة الثورة في مصر بقيادة أحمد بن بلة² والرئيس جمال عبد الناصر، حيث اقترح هذا الأخير على بن بلة تكوين كومندو من الضفادع البشرية لإقحامهم في الحرب ضد فرنسا باستهداف وتحطيم السفن الحربية في الموانئ الفرنسية. هذه الفكرة العجيبة فرضتها ظروف الثورة وعبقريتها لمهاجمة ميناء طولون، برست، والمرسى الكبير. وهو ما جعل قيادة الثورة تستبشر خيراً، وتستعجل في تكوين هذا السلاح الحربي في أقرب وقت ممكن، وبسرّية كبيرة بعيداً عن أعين فرنسا.

يبدو أن اختيار مهاجمة الموانئ الحربية الفرنسية لم يكن خياراً إرتجالياً أو عفويّاً، وإنما جاء بناءً على مخطط حربي مدروس، له أبعاده التاريخية والحضارية، خاصة وأنّ الثورة الجزائرية أرادت الردّ على فرنسا بقوة، من خلال استهداف سفن ميناء طولون. حيث شهد هذا الأخير إنطلاق الحملة الفرنسية على الجزائر في 1830م، وبذلك أرادت الثورة أن تردّ لفرنسا الصّاع صاعين، إذ كانت عملية تفجير السفن عمليات قانونية تشرعها القوانين الدولية آنذاك.

وتقرّر إنشاء كومندو ضفادع بشرية بدعم من مصر التي تبنت تكوين هذا السلاح، ومن أجل هذا المسعى عمل بن بلة على ربط الإتصال مع مسؤول جبهة التحرير في المغرب المدعو سي مزيان لاستقدام خمس شباب لديهم مواصفات خاصة تليق بهذا التخصص، وطلبوا منهم المشاركة في الثورة ومن أجل

هذا فهم مرشحون لمهمة صعبة تتميز بروح التضحية والوطنية والإلتزام بالواجب الوطني من أجل استقلال الجزائر³.

تجسد هذا المسعى بإرسال مسؤول الثورة في المغرب خمس شباب بتاريخ 14 جويلية 1956م إلى القاهرة وهم: يحي رحال، عبد الله دباغ، عثمان دمارجي⁴، بن عمر شربال، جودي عبد القادر، وعمل كل من محمد بوضياف⁵ والدكتور تيجاني دمرجي على إرسالهم إلى مصر⁶، حيث ينتظر استقبالهم من طرف الوفد الخارجي. وحول ظروف تنقلهم من تطوان إلى مدريد بجوازات سفر مزورة، وبجنسية مغربية، ومن مدريد إلى روما، ومنها إلى القاهرة بوثائق مزورة بجنسية مصرية، خوفا من كشفهم من طرف المخابرات الفرنسية التي كانت تترصد تحركات الجزائريين خاصة المسافرين إلى مصر، ومن أجل ذلك كانت المهمة سرية لدرجة أنهم كلما وصلوا لدولة أوروبية وجدوا مسؤولي الثورة في استقبالهم، وهؤلاء لم يكونوا يعلمون به المهمة السرية والمحفوظة بالمخاطر، وقد وصلوا إلى القاهرة على الساعة الثالثة صباحا حيث كان قادة الثورة في استقبالهم⁷.

عمل أحمد شيبان وهو مناضل وطالب في القاهرة، وكان مقرباً من أحمد بن بلة بالتنسيق مع هذا الأخير لتجميع الفريق بالقاهرة، وتقديمهم له، علماً أن هذا الفريق متكوّن من خمسة قادمين من المغرب الأقصى وثلاثة آخرين طلبة ومناضلين كانوا في القاهرة هم: أحمد شيبان، مسعود بزة، أحمد بن دريس، حيث كانوا سينضمون إلى التدريب على تقنيات الغوص وتخريب السفن الحربية⁸.

ولما وصلوا كان في استقبالهم كلّ من: أحمد بن بلة، حسين آيت أحمد⁹، محمد خيثر¹⁰، الدكتور تيجاني هدام¹¹، أما من الجانب المصري فكان فتحي الديب مسؤول المخابرات المصرية، وهنا تقدم بن بلة وطرح عليهم سؤالاً: «هل تعرفون لماذا انتم هنا؟» وكانت إجاباتهم بالنفي، وبعدها عرض عليهم القيام بمهمة صعبة وخطيرة في آن واحد، ومن يرفض فعليه العودة، ويمكن تأمين طريق العودة له إلى غاية بيته، إلا أن أعضاء الفريق قبل بالتّحدي، وقالوا لهم بأنهم جاؤوا من أجل التضحية في سبيل الوطن واستقلال الجزائر، وعندما تأكدوا من نواياهم في المشاركة بهذه المهمة أسروا لهم بها وبتكوينهم كضفادع بشرية مقاتلة¹².

يقول عثمان دمارجي: «اتصل بن بلة بقيادة الجبهة في الرباط وطلب منهم تجنيد متطوعين شباب من أجل مهمة لم يكشف عن طبيعتها، وقيل لنا أن هذه المهمة إذا انظمتم إليها يجب أن ألا تراجعوا عن أي عقبة، ولم نتردد لثانية ووافقنا على الذهاب...»¹³.

2 - تكوين الضفادع البشرية بالإسكندرية:

أخذ المصريون تكوينهم في هذا التخصص من الإيطاليين الذين كانوا روادا وسباقين بهذا المجال الجديد في الشأن العسكري، حيث كانوا مشهورين بتلغيم عدة مراكب وسفن حربية اثناء الحرب العالمية الثانية، وقد أصرّ المصريون على تكوين الجزائريين تكويناً يليق بالثورة الجزائرية، حيث وصفه أحد المدربين بأنه أقوى من التدريب الذي يُقدم للمصريين أنفسهم، لأنهم لا يملكون هدفاً كبيراً كالاستقلال مثل الجزائريين. وخلال أطوار التكوين الصعب كان يتردد عليهم أحمد بن بلة من أجل مراقبة المهمة والوقوف على نجاحها، ومن جهة أخرى تشجيع الفريق الجزائري حيث كان سعيداً

لتطوّر قدراتهم، وغوصهم في أعماق البحر حيث أبانوا عن قدرات هائلة خلال التدريب، وعلى إثر هذا تمّ تطمين بن بلة من طرف المدربين المصريين بأنّ الفريق يتطوّر بسرعة خلال كل تمرين ميداني، وأخذوا تكويناً يدوم أربعة أشهر من أجل هذه المهمة¹⁴.

أ- برنامج التدريب:

- السباحة

- القذف

- الشراع

- تحميل وتفريغ الأسلحة من السفن إلى الاشعة الصغيرة ومنه إلى الساحل¹⁵.

ب- ظروف التكوين:

كان التدريب بمركز سرّي لتكوين كومنندو الضفادع البشرية المقاتلة في ميناء الاسكندرية، وكانوا يقومون بالغطس ليلاً أي من الغروب إلى طلوع الفجر، بالسباحة والغوص في أعماق البحر، وتمّ تكليفهم بأداء مهمّات حربية وهي في آن واحد تدريب ميدانيّ، وبشهادة دمارجي كلّت كل هذه المهمّات التدريبية بنجاح باهر غير مسبوق¹⁶.

تولّى الضابط علي عبد الرزاق وهو واحد من أوائل المدربين المصريين الذين سهروا على تكوين الفريق حيث قدم هو وغيره من المدربين تضحيات كبيرة من أجلهم، إذ يُنقل الفريق إلى عرض البحر ثم يقومون بالغطس في مهمّات، يقوم بإرسال ضفدعين بشريين بسبب الخوف من التسمّم الذي قد يتعرض له الغطّاس، فيجد زميله الثاني لإنقاذه من الغرق، كما يوجد جرس أثناء التدريبات لتنبيه الغطّاسين للخروج حتى يتمّ معرفة مكانهم وتوجيههم خلال أداء مهمّتهم المتمثلة في الغطس نحو السفن والغواصات لوضع قنابل والعودة بسرعة حتى لا تنفجر عليهم. سهر المدربون على أن يكون التدريب يومياً حتى يكون في مستوى المهمة الموكلة لهم¹⁷، حيث يقول دباغ: « تشكيل فرقة الضفادع البشرية سلاح قوي استخدمته فرنسا وإيطاليا في الحرب العالمية الثانية، ويتطلب الارادة والشجاعة لتلغيم المراكب، في حالة خطأ يمكن أن تنفجر فيك القنبلة»¹⁸.

ساد التدريب على المهمّات ظروفًا شاقة ولكنه كان فعّالاً، حيث يمكن للضفدع البشري المقاتل معرفة كل ما يخصّ هذا المجال من أجهزة الغطس وطريقة استعمالها أثناء التدريب في عمق البحر، وكان عليهم التنقل عدة كلومترات تحت الماء الذي غالباً ما يكون بارداً¹⁹.

يُلاحظ أنّ هذه المهمة لم تسلم من المخاطر خلال هذه العمليات الخاصة في أعماق البحر، حيث تعرض الطالب عثمان دمارجي إلى مشكلة كادت أن تؤدي بحياته، إذ علقت قارورة الاوكسجين بأحد الشباك أثناء التدريب، ولولا فطنته لكان في عداد الموقّ²⁰.

وهذا ما جعل تكوين الضفادع البشرية يقوم على أساس خصائص معنوية وبدنية يجب أن يتميّز بها كل متربص، فعند وصولهم إلى القاعدة البحرية للتدريب اليومي الذي يطغى عليه التدريب الشاق

والمكثف، إذ كانت التمارين كثيرة ومتنوعة، فيبدأ الغطاس بالتعرف ولمس البحر إن كان بارداً عند منتصف الليل وفي الصباح الباكر. إضافة إلى التدريب على مواجهة الخصم في المياه على نوعين (مياه سطحية وأخرى في عمق البحر)، كان الهدف منه ضمان بلوغ الغطاس لهدفه خلال تنفيذه لمهمة تلقيم وتفجير السفن والغواصات الحربية²¹.

3 - مهمة الفريق:

تم تكوينهم لتحميل وتفريغ السفن، ومنها إلى أشرة نحو الساحل، فكانت أول مهمة لهم هي شحن سفينة الأسلحة لكل من دينا وأتوس خلال 19 جويلية 1956. وكشف فتحي الديب في كتابه «جمال عبد الناصر والثورة الجزائرية» أن معدات السباحين المقاتلين كانت في أتوس سفينة الأسلحة، وهنا يطرح عثمان دمارجي سؤال «لماذا لم يرسلنا إلى أتوس؟»²²

بعد الاستقلال كشف بن بلة لدمارجي أنه عين جزائرياً في ميناء طولون لاستقبالهم ومنها لاستهداف الموانئ الثلاث السالفة الذكر²³. حيث كان المخطط الذي بحوزة بن بلة في مركب يوغسلافي يحمل الضفادع البشرية لإيصالهم إلى الموانئ الفرنسية المستهدفة، ثم ينزل الثنائي للبحر عند اقترابهم من الميناء الذي غالباً ما يكون عليه حراسة شديدة، مما يستوجب على الضفادع البشرية النزول من المركب وإكمال المسافة سباحة، ويكون لديهم بوصلة من أجل توجيههم في عرض البحر ليتم توجيههم نحو المكان والهدف المتمثل في السفن، ويعمل متأهبا دائماً، ويأخذ بعين الاعتبار عملية حساب السرعة والوقت الذي يستغرقه من أجل إكمال مهمته على أحسن وجه في المكان والزمان المناسبين دون أخطاء قد تعرض المهمة للفشل مما يستوجب أخذ الحيطة والحذر²⁴.

مسير الفريق:

كانت عملية قرصنة طائرة قادة الثورة في 24 أكتوبر 1956²⁵ وإلقاء القبض عليهم كارثة عظمى على الفريق، إذ كان بن بلة هو الوحيد الذي يملك سر المهمة ومخطط العمليات التي كانت مبرمجة لاستهداف السفن والموانئ الحربية الفرنسية. وهو ما جعل الفريق يضيع ويتيه بدون قائد، حيث تعرضوا للإهمال وأصيبوا بإحباط كبير، وهو ما نتج عنه ضياع تجربة رائدة في الحروب العصرية المباشرة التي تجاوزت ميدان الحروب الثورية.

4 - أهم انجازاتهم:

أ- تنقية السواحل المصرية من القنابل:

إنفرد فريق كومندو الضفادع البشرية الجزائرية في تنقية الموانئ المصرية من الألغام والمتفجرات التي أُلقيت في الساحل المصري من طرف المصريين لمواجهة العدوان الثلاثي على مصر في أكتوبر 1956م²⁶، بسبب دعم مصر للقضيتين الفلسطينية والجزائرية مما جعل الدول المتمثلة في بريطانيا، الكيان الصهيوني، وفرنسا. وعندما انتهت الحرب تم تجميعهم بمعية الأطقم البحرية المصرية، وحضر كل من عزت سليمان وعبد الحكيم عامر وقدم هذا الأخير خطاباً من أجل انتشار القنابل من الموانئ المصرية التي أضحت في خطر، وفي هذا الصدد يقول عبد الله دباغ « أثناء العدوان الثلاثي على مصر

قامت القوات البحرية المصرية بتوزيع الألغام على طول الساحل الشرقي، قبل أن تُدرك أنها ارتكبت خطأً استراتيجياً كبيراً، بسبب قلّة التجربة. وتكمن خطورة تلك الألغام على المصريين أنفسهم، وكان من بين الحضور الجزائريون التسعة المجندون من طرف بن بلّة، وطرح قائد الأركان قضية الألغام على الحضور»²⁷.

لتنقية السواحل طلب متطوعين من أجل هذه المهمة، فتطوّع تسعة ضفادع بشرية جزائريين للمهمة الخطيرة وغير معروفة النتائج، ولهذا لم يتقدم المصريين لها، وأبانوا عن عجزهم أمام قيادتهم، ولم تتوقف المهمة على الضفادع البشرية فقط، بل امتدت حتى للطيار الذي كان يقود الطائرة فهو جزائري، لتكوّن هذه المهمة جزائرية محضة، حيث كانت أول مهمة بحرية صعبة خارج التدريب يقومون بها، وتمت بنجاح باهر وكلّهم عزيمة وشجاعة فاقت الحدود. وقد تجسدت بطولات هؤلاء الجزائريين في فيلم مصري كان عنوانه : «الطريق إلى إيلات»²⁸.

كانت عملية تنقية الموانئ من الألغام والقنابل محفوفة بالمخاطر، حيث يقوم فريق الضفادع البشرية بالغوص في أعماق البحر والبحث عنها، وعندما يجدونها يقومون بربطها بحبل موصول بالباخرة ليجذبه كتنبيه بإيجاد القنبلة، ثم يتم استخراجها، وبعد ذلك ينزع عنها المفجّر، وبهذه الطريقة تمكّنوا من انتشار كل القنابل»²⁹.

توجت هذه العملية البطولية من تنقية الساحل المصري من كل القنابل وأظهروا شجاعة فائقة خلال هذه المهمة، وبقيت قنبلة واحدة تطوع لأجلها عثمان دمارجي حيث كانت على عمق 30 كلم ولا يمكن للضفدع البشري الغوص أكثر من 15 كلم وكان هذا تحد كبير من طرف دمارجي الذي أبان شجاعة كبيرة منقطعة النضير من أجل نزع هذه القنبلة وإخراجها.

ب- تكوين جبهة ليبيا ومعركة إيسن 1957:

بعد نجاح مهمتهم في انتشار القنابل من الموانئ المصرية، أمرت قيادة الثورة سنة 1957م بإرسالهم إلى الحدود الليبية الجزائرية من أجل مهمة في الصحراء، ويبدو أنّ هذا القرار جاء لتنظيم جبهة ليبيا، حيث سعت الثورة من خلاله إلى تنشيط هذه المنطقة من أجل إعطاء بعد وطني للقضية الجزائرية، وتنبه فرنسا إلى أنّ الصحراء جزائرية ورفض القرار الذي سنّته فرنسا في أوائل عام 1957³⁰، وتذكر فرنسا التي اكتشفت البترول في الصحراء الجزائرية سنة 1956م أنّ الصحراء جزائرية، وهو ما جعل الثورة تعمل في هذا المسعى حيث كان العقيد أوعمران هو المسؤول بمساعدته الرائد إيدر اللذان وضعوا خطة محكمة من أجل فتح جبهة ليبيا.

وقد استقبل الفريق من طرف الرائد إيدر بنوع من الغموض حين وصفهم برجال الإسكندرية³¹ كونهم لم يكشفوا سرّ تكوينهم ومهمتهم التي أوكلوا من أجلها في القاهرة، ومع ذلك لم يثيهم هذا عن أداء أي مهمة توكل لهم في الصحراء التي لم يتعودوا عليها، وهذا ما جعل دمارجي يطرح السؤال دائماً لماذا تم اختيارهم لهذه المهمة بالذات من قبل الرائد إيدر³².

أصبح فريق الضفادع البشرية في بيئة غير البيئة التي تكوّنوا فيها، لكنهم أحسنوا أداء مهماتهم فيها،

حيث عانى هؤلاء كثيرا من قساوة البيئة التي لم يكونوا يعرفونها، ومع هذا أثبتوا مرة أخرى أنهم أهلٌ لأيّ مهمةٍ توكل لهم بمعية 30 مجاهد منهم الطوارق، وهو ما تجسّد في معركة إيسين في 3 أكتوبر 1957م، حيث وصلت أخبار لجيش التحرير المرباط في الصحراء مفادها أنّ وزير الحرب الفرنسي ماكس لوجان سيقوم بزيارة نواحي منطقة الطاسيلي والقاعدة العسكرية جانت، ومن أجل هذا تمّ نصب كمين بإحكام لقافلة فرنسية تمرّ من إليزي إلى جانت وهي تحمل مخزون كبير من المؤن، إذ تمّ إبادة القافلة عن بكرة أبيها وأحرقوا ما بها³³، وأبانت الضفادع البشرية شجاعة كبيرة مرة أخرى، وكما عودونا في البحر تمكّنوا من فرض أنفسهم في البرّ، ولو استمرت المعارك لحققوا نجاحات باهرة في هذا الميدان، وبذلك تمّ تلقين فرنسا درساً كبيراً مازالت بقايا الشاحنات شاهدة عليها إلى يومنا هذا في منطقة سيلان.

وحول حيثيات هذه المعركة التي قادها الحاج لخضر دهيني يوم 3 أكتوبر 1957م على الساعة 9:15 صباحاً، بدأ الهجوم من النقطة الحدودية تينالكوم إنطلاقاً من واد إيسين حيث انقسمت وحدات جيش التحرير يساعدهم المجاهدون المدنيون من منطقة الطوارق وبعض الاخوة الليبيين لضرب ثلاثة أهداف بتيناكوم وقد تمكنت هذه المجموعة من تحقيق أهدافها العسكرية بدقة متناهية، منها :

- كتيبة عسكرية صحراوية مؤلفة من الليفي الاجنبي بقيادة لويروست.

- كتيبة صحراوية محمولة ومعها 7 سيارات عسكرية بقيادة منيوت.

- قوات أخرى متعددة بقيادة بوني³⁴.

وحول معاناتهم بعد المعركة وظروف مكوثهم في المنطقة يقول دباغ: «تعبنا كثيرا بسبب غياب الدواء والماء، أصاب معظم رفقاتنا المرض بحيث أصبح الدم يتطاير من أجسادنا، لكننا نفتخر لنجاح العملية ماديا وبسيكولوجيا»³⁵. وهذا ما جعل دمارجي يرأس لجنة التنسيق والتنفيذ نيابة عن رفقاته للسماح لهم بالعودة الى مهمتهم في البحر، وبالفعل تقبل كريم بلقاسم الطلب وأعادهم الى مدرسة الإسكندرية³⁶.

5 - إعادة تكوينهم في دورة ثانية بالإسكندرية:

بعد النجاح الباهر الذي حقّقه خلال تلك المعركة ذاع صيتهم وبقي من 11 ضفدع بشري 5 فقط، ممّا جعل القيادة تستقبلهم في تونس، وكان اللقاء مع قائد الأركان هواري بومدين الذي طلب منهم تكوين جزائريين آخرين كضفادع بشرية، وهو ما استوجب عودتهم مرة أخرى من أجل استكمال تدريبهم.

ومن أجل هذا عادوا إلى الإسكندرية لمتابعة تكوينهم في الغطس والسباحة والقفز بالمضلات، وهنا تدخل كريم بلقاسم لمساعدة الفرقة بإدخالهم في تربص ميداني مكثّف حيث وصل التدريب إلى 09 ساعات تكوين في اليوم على المضلات، وكان هذا خلال شهر رمضان وطلب منهم الإفطار غير أنّ الفريق أبي وصام، وبالفعل دخلوا تمرين ميداني بإنزال في نهر النيل وتمت العملية بنجاح غير مسبوق ليُبرهنوا مرة أخرى عن طول نفسهم وتحديّ الصعاب، والقيام بأي مهمة مهما كلفهم الأمر. والمُلفت للانتباه أنّ

الطيار كان جزائرياً خلال تدريبهم في القفز بالمضلات، وإسمه طهراوي وهو الطيار الخاص بعبد الناصر. وقد زارهم كل من كريم بلقاسم وعبد الحفيظ بوصوف للوقوف على تكوينهم الخاص واستعداداتهم ولتشجيعهم في الإسكندرية خلال مرحلة التمارين الميدانية³⁷.

رغم أن فرق الضفادع البشرية كانت قليلة في العالم إلا أن الثورة الجزائرية كانت تملك هذا السلاح الاستراتيجي منذ نهاية سنة 1956م بفريق مجهز ومكوّن وقادر على القيام بأي مهمة تُوكل إليه، وخاصة المهمة الأساسية التي قام عليها ألا وهي مهاجمة السفن الحربية الفرنسية.

أرادت قيادة الثورة بعث تلك المهمة السريّة، وكان هناك تشجيع من القائد المصري طلعت للانتقام من البحرية الفرنسية بعد الهجمات التي تعرضت لها مصر إبان العدوان الثلاثي على مصر 1956م، ومن أجل توفير السلاح من قنابل ودعم لوجستيكي صرح طلعت لدمارجي بالقول: «أعرف صديقاً إيطالياً يصنع القنابل للغواصات هل قادتك مستعدون لشرائها». وبالفعل دخل كريم في مفاوضات حول الصفقة إلا أنها تأجلت بسبب التغيير الحكومي، فخلف كريم بوصوف، لكن هذا الأخير لم يقبل ثمن الصفقة التي تخصّ القنابل المتطورة والباهضة الثمن، وهو ما جعله يُرسل مبعوثاً إلى إيطاليا للاستفسار عن سعر القنابل، وعلى إثر ذلك اكتشفت الشركة الإيطالية بأنّ القنابل لم تكن موجهة للبحرية المصرية، مما جعلها ترفض الصفقة وقطعت الصلة بين طلعت والشركة الإيطالية³⁸.

طرح إشكالية طريقة الهجوم والتدخل من خلال البحر أم من الجو من أجل الوصول إلى السفن الفرنسية، إلا أن المخابرات الفرنسية كشفت مهمة تكوين الضفادع البشرية الخاصة بالثورة التحريرية في مصر، وكانت جريدة باري ماتش قد نشرت الخبر وهو ما جعل قيادة الثورة تؤجل هذه المهمة³⁹.

يبدو أن المخابرات الفرنسية كشفت سرّ مهمة تكوين ضفادع بشرية في مصر تابعة لجيش التحرير الوطني، من خلال تناول الإعلام الفرنسي لهذا الأمر، إذ طرحت في جريدة باري ماتش عام 1958م، مما جعل فرنسا تتأهب لمواجهة أي خطر أو هجوم على المراكب الحربية من طرق جيش التحرير الوطني، وهذا ما جعل الخوف والذعر يدب بقيادة الجيش الفرنسي وأطقم بحريتها، إذ أصبحت تعيش في هوس كبير من أيّ تحرّك للثورة الجزائرية، نتيجة عدم تقبل هذا الأمر بامتلاك الثورة هذا السلاح الذي من شأنه أن يهدّد السفن الحربية الفرنسية ويلحق خسائر كبيرة للبحرية، حيث أصبحت فرنسا تنتظر نقل الحرب من البرّ إلى البحر، وبدأ حرب حقيقية ضد المصالح العسكرية الفرنسية، إضافة إلى الصدى الإعلامي الذي أخذته القضية، من دعاية وترويج لصوت الثورة في العالم، وخصوصاً العالم الغربي.

6 - فتح مدرسة لتكوين الضفادع البشرية بالناضور 1960م:

تميّز مركز أنواصر بتكوين فرقة الضفادع البشرية، والذي يقع بين مدينتي الناضور ومليّة التي كانت تحت النفوذ الاسباني، حيث تم تخصيص مكان مناسب للتكوين في هذا المجال، وكانت سرية وموقع المكان يساعدان في تكوين هذا الاختصاص، وهو موقع تتوسطه منارة تطلّ على البحر الأبيض المتوسط. وقد اختير المتربصون من الجنود ذوي الثقافة المتوسطة، أغلبهم من دار الكبداني، وسبق لهم أن تكونوا عسكرياً، ولهذا اقتصر تدريبهم على التقنيات البحرية، بما في ذلك تخصص ميكانيك الزوارق وكان من بين العتاد زورقان⁴⁰.

وقد شُرع في تكوين دفعتين، كل واحدة تتكوّن من 30 فرداً لمدة أربعة أشهر، وتمّ تكليف عبد الحفيظ بوصوف بتوفير أجهزة الغطس الخاصة بالضفادع البشرية، ومن أجل هذا تم اختيار 20 جندي وإرسالهم إلى القاعدة البحرية، وفي شهر نوفمبر بدأت التدريبات الميدانية في المركز والدخول في تربّص ميداني في البحر، والغوص الذي كان يدوم 09 ساعات في السباحة، وكذا التمويه حتى لا يكتشف العدو أمرهم⁴¹.

أسندت مهام المركز إلى السيد محمد مامي، أما المدربين المختصين نذكر منهم رشيد بن يلس، شيبان أحمد، شربال مسعود، دباغ عبد الله وغيرهم

وكان الهدف من هذا التخصص الفريد والنادر في تلك الفترة هو:

- خلق النواة الأولى للبحرية الجزائرية.

- شحن وتفريغ الأسلحة عن طريق البحر بعدما صعب إدخالها عن طريق البرّ، وفي إحدى عمليات تفريغ الأسلحة في جويلية 1961م غرق زورق نتيجة ثقل الحمولة، فتمكن الغطّاسون من رجال الضفادع البشرية من استخراج كل الأسلحة باستثناء بندقية ومسدس من نوع موزير وصندوق من الذخيرة⁴².

خاتمة:

كان تأسيس فرقة كومندوس الضفادع البشرية خلال الثورة هدفاً إستراتيجياً من شأنه أن يغيّر أسلوب الحرب مع فرنسا، وما له من أبعاد كبرى من شأنها أن تغيّر مجرى الحرب، خاصة وأن الثورة الجزائرية أرادت نقل المعركة إلى البحر وموانيء فرنسا كمخطط حربي قوي للهجوم على السفن الحربية الفرنسية انطلاقاً من ميناء طولون، وما يترتب عن هذه المعركة من رصيد عسكري يساهم في الترويج للقضية الوطنية. ورغم أنّ فرق الضفادع البشرية كانت قليلة في العالم إلا أنّ الثورة الجزائرية كانت تملك هذا السلاح الاستراتيجي منذ نهاية سنة 1956م بفريق مجهّز ومكوّن وقادر على القيام بأيّ مهمة توكل إليه، خاصة في المهمة الأساسية التي قام عليها ألا وهي مهاجمة السفن الحربية الفرنسية.

لم يقتصر تكوين الثورة للضفادع البشرية في مصر فقط، بل تجاوز ذلك بتأسيس أول مدرسة لتكوين البحرية الجزائرية بدون مساعدة أجنبية بالناضور المغربية، وتجدر الإشارة إلى أنّ الثورة كوّنت الكثير من ضباط البحرية في القاهرة - ويمكن البحث في هذا الموضوع كموضوع متّمم للدراسات - ليصبح هؤلاء النواة الأساسية الأولى في تكوين سلاح البحرية الجزائرية عشية الاستقلال.

الهوامش:

1- روائي فرنسي ولد في 8 فيفري 1828 في نانت، طغت على رواياته المغامرات التي تستحضر النقد العلمي في القرن 19، وقوة الخيال ويصور لنا في

- Jules Verne, *Vingt mille lieux sous les mers*, 1870, 924 p.

2- ولد أحمد بن بلة في 25 ديسمبر 1918 بمغنية من أسرة فلاحية، تابع دراسته الثانوية بتلمسان وأدى الخدمة العسكرية سنة 1937 وأعيد تجنيده في الحرب العالمية الثانية، انخرط في صفوف حزب حركة انتصار الحريات الديمقراطية، ترشح في انتخابات سنة 1948 على مستوى مدينة مغنية، أصبح مسؤولا عن القطاع الوهراني في المنظمة الخاصة، وخطط للهجوم على بريد وهران عام 1949. عين على رأس المنظمة الخاصة بعد حسين آيت أحمد في 1949 إلى غاية سنة 1950 تاريخ اكتشاف المنظمة الخاصة. اعتقلته السلطات الفرنسية في 1950 وحكم عليه بالسجن لمدة 7 سنوات، وفي 16 مارس 1952 تمكن من الفرار من سجن البليدة، التحق بالوفد الخارجي بالقاهرة، وبعد اندلاع الثورة أصبح عضوا في الوفد الخارجي لجهة التحرير الوطني مكلفا بتزويد الثورة بالسلاح، وفي 22 أكتوبر 1956 أُلقت عليه السلطات الاستعمارية القبض في حادثة اختطاف الطائرة، بقي في السجون الفرنسية إلى غاية 19 مارس 1962، بعد الاستقلال كان أول رئيس للجمهورية الجزائرية المستقلة توفي يوم 11 أبريل 2012. أنظر: أحمد بن بلة، مذكرات أحمد بن بلة كما أملاها على روبر ميرل، ترجمة العفيف الاخضر، منشورات دار الادب بيروت، ص 5، 7.

3 - شهادة عثمان دمارجي، رجال الضفادع اثناء الثورة التحرير، رجال الضفادع الجزائريين، التلفزة الجزائرية الثالثة، 25 ديسمبر 2011.

4- عثمان دمارجي ولد في 1 جوان 1935 بتلمسان تحصل على شهادة البكالوريا شعبة رياضيات وفي 1953 انتقل الى فرنسا ليوصل تعليمه الجامعي في مدينة أونجي، وفي عام 1956 انضم للثورة ليدخل في تربص تخصص ضفادع بشرية، وبعد الاستقلال تحصل على منحة لمزاولة تعليمه في روسيا ليتحصل على دكتوراه طاقة شمسية، عمل في جامعة الجزائر باب الزوار وعدة جامعات اخرى.

5- ولد محمد بوضياف يوم 23 جوان 1919 في المسيلة أين زاول دراسته فيها، ناضل في صفوف حركة انتصار الحريات الديمقراطية وأصبح مسؤولا عن الشمال القسنطيني في المنظمة الخاصة. لعب دورا بارزا في توحيد تيار العمل المسلح بسبب الصراع بين المصاليين والمركزيين في سنوات 1953-1954. شارك بفعالية في اجتماع 22 وفي اللجنة الثورية للوحدة والعمل، يعتبر من الرجال التاريخيين الذين حضروا للثورة ثم فجروها. عين في الوفد الخارجي لجهة التحرير الوطني في 1954 وقد عمل على تنظيم جبهة التحرير في فرنسا، اعتقل مع أحمد بن بلة يوم 22 أكتوبر 1956 في حادثة اختطاف الطائرة، أطلق سراحه في 19 مارس 1962 رفقة إخوانه المعتقلين معه. توفي في 29 جوان 1992. أنظر: محمد حربي، الثورة الجزائرية سنوات المخاض، ترجمة نجيب عياد وصالح المثلوني، موفم للنشر، 1994، ص 186، 187.

6- شهادة عبد الله دباغ، التلفزة الجزائرية الثالثة، 25 ديسمبر 2011.

7- شهادة عثمان دمارجي، التلفزة الجزائرية الثالثة، 25 ديسمبر 2011

8- شهادة عبد الله دباغ، التلفزة الجزائرية الثالثة، 25 ديسمبر 2011.
9- ولد حسين آيت أحمد في 26 آوت 1926 بعين الحمام في منطقة القبائل، بدأ تعليمه بمسقط رأسه ثم بثانوية تيزي وزو وبعدها بن عكنون بالجزائر، وتحصل منها على شهادة البكالوريا، بدأ النشاط السياسي مبكرا بانضمامه إلى صفوف حزب الشعب الجزائري منذ أن كان طالبا ثانويا، وبعد مجازر 8 ماي 1945 أصبح من المدافعين عن العمل المسلح كخيار وحيد للاستقلال، أصبح عضوا للجنة المركزية لحركة انتصار الحريات الديمقراطية، وعند إنشاء المنظمة الخاصة كان من أبرز عناصرها وصار ثاني رئيس لها بعد وفاة محمد بلوزداد، أشرف مع أحمد بن بلة على عملية بريد وهران 1949، وعند ظهور الأزمة البربرية سنة 1949 انتقل إلى مصر كممثل للوفد الخارجي لحركة الانتصار بالقاهرة سنة 1951 رفقة محمد خيضر، عند اندلاع الثورة أصبح من بين ممثلي جبهة التحرير الوطني في الخارج، و في هذا الإطار حضر مؤتمر باندونغ سنة 1955، وانتقل إلى نيويورك للدفاع عن القضية الجزائرية أمام الأمم المتحدة، و اعتقل في حادثة اختطاف طائرة في 22 أكتوبر 1956. أطلق سراحه مع زملائه بعد وقف إطلاق النار، توفي يوم 23 ديسمبر 2015. انظر:

-Benjamain STORA, *Dictionnaire Biographique De Militants Nationalistes Algeriens*, E.N.A, P.P.A, M.T.L.D, 1926-1954, Editions L'Harmattan, paris, 1985, p269..

10- ولد محمد خيثر يوم 13 مارس 1912 في الجزائر في عائلة متواضعة من بسكرة، أين زاول دراسته قبل أن يضطر إلى مغادرة المدرسة لإعالة أهله، اشتغل قابضا في حافلات النقل الحضري التي كانت تربط بسكرة وغيرها من المدن، انخرط في صفوف نجم شمال إفريقيا ثم في حزب الشعب الجزائري ، حيث انتخب نائبا عن الجزائر العاصمة عام 1946، اتهمته السلطات الاستعمارية بتورطه في حادثة السطو على بريد وهران عام 1950، إذ استعملت سيارته لنقل النقود من وهران إلى الجزائر العاصمة، لجأ إلى القاهرة عام 1951، بعد أن ثار ضد قرار الحزب الذي طلب منه تسليم نفسه للسلطات الاستعمارية وأصبح مندوبا لحركة انتصار الحريات الديمقراطية في القاهرة وعضوا في جبهة تحرير المغرب العربي التي كان يرأسها عبد الكريم الخطابي، بعد اندلاع الثورة ساهم في تزويد جيش التحرير الوطني بالأسلحة وفي ضمان الدعم العربي للثورة. اعتقل مع بن بلة ورفاقه يوم 22 أكتوبر 1956 بعد اختطاف طائرته، ولم يطلق سراحه إلا في 19 مارس 1962، توفي يوم 4 جانفي 1967. أنظر: محمد حربي، مصدر سابق، ص 190.

11- ولد يوم 11 جانفي 1921 تلمسان حفظ القرآن الكريم ونال شهادة بكالوريا رياضيات زاول دراسته في كلية الطب بين العاصمة وقسنطينة، نال شهادة الدكتوراه في 1952، وبعد انطلاق الثورة أصبحت عيادته مركزاً للثورة في معالجة المجاهدين وعلى اثر ذلك القت فرنسا عليه القبض ودخل سجن الكدية ثم افرج عليه بضغط من نقابة الأطباء، انظم إلى الوفد الخارجي وتدرج إلى أن أصبح مسؤول لجنة الأطباء في تونس، وبعد الاستقلال شغل رئيس مصلحة الجراحة الصدرية بمستشفى مصطفى باشا، ثم إماماً لمسجد باريس وعدة وزارات، توفي يوم 22 مارس 2000. جريدة الشروق 19-03-2017.

12- نفسه.

13- Hamid TAHRI,» *Debagh Abdallah, homme grenouille combattant de l' ALN*», watan, 19 novembre 2012.

- 14- شهادة عبد الله دباغ، التلفزة الجزائرية الثالثة، 25 ديسمبر 2011.
- 15- شهادة أحمد شيان، التلفزة الجزائرية الثالثة، 25 ديسمبر 2011.
- 16- شهادة عثمان دمارجي، التلفزة الجزائرية الثالثة، 25 ديسمبر 2011.
- 17- شهادة عبد الله دباغ، التلفزة الجزائرية الثالثة، 25 ديسمبر 2011.
- 18- الشعب 3 ديسمبر 2016.
- 19-Hamid TAHRI, «les hommes grenouilles de l'ALN, le premier noyau de la marine nationale», watan, 30 mai 2019
- 20- شهادة عثمان دمارجي، التلفزة الجزائرية الثالثة، 25 ديسمبر 2011.
- 21- محمد زروال، التكوين العسكري في الثورة الجزائرية 1954-1962، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2018، ص 65.
- 22- يشير فتحي الديب أنه تمّ توظيف الضفادع البشرية بعد تدريبهم فنيا على أجهزة اللاسلكي والمتفجرات من أجل ضمان الأمن والنجاح في تأمين سفينة أتوس المعبئة بالأسلحة. أنظر: فتحي الديب، عبد الناصر وثورة الجزائر، دار المستقبل العربي، ط2، 1990، ص 252.
- 23- watan, 30 mai 2019
- 24- لقاء الذاكرة، شهادة عبد الله دباغ حول الضفادع البشرية، 29 فيفري 2020، التلفزيون الجزائري الثالثة.
- 25- بدأت خيوط العملية بقبول الحكومة الفرنسية الحضور لاجتماع يضم كل من الرئيس التونسي الحبيب بورقيبة والملك المغربي محمد الخامس وزعماء الثورة الجزائرية، أحمد بن بلة، حسين آيت أحمد، محمد بوضياف، محمد خيضر، مصطفى الأشرف، وأنضح فيما بعد أن الموافقة الفرنسية، لم تكن سوى عملية استدراج لقادة الثورة الذين سيذهبون إلى مراكش للمفاوضات فيتمّ القبض عليهم، وهنا علينا أن نشير أن المفاوضين الفرنسيين كانوا قد قبلوا بتقديم تسهيلات لتنقلهم، زيادة على علم الحكومة الفرنسية بعزم الثورة على إرسال وفد للمشاركة في الندوة التي ستعقد بتونس من أجل السلم، في حدود الساعة منتصف النهار من يوم 22/10/1956 أقلعت الطائرة المغربية من مطار الرباط وعلى متنها الزعماء الخمسة، متجهة إلى تونس، وفي الساعة الخامسة وخمس وثلاثين دقيقة، وأثناء تحليقها في الأجواء الدولية، أرغمت الطائرة المغربية على تغيير وجهتها تجاه الجزائر وذلك بعد أن اعترضتها طائرات فرنسية حربية. انظر فتحي الديب، مصدر سابق، ص 267.
- 26- تعرضت مصر من جراء مواقفها المبدئية المساندة للثورة الجزائرية على كافة المستويات لعدة أخطار من طرف القوى الاستعمارية التي رأت في التعاون والتنسيق المصري الجزائري تهديدا لمصالحها في المنطقة العربية. فراحت تمارس عليها الضغوط والتهديد، وكان العدوان الثلاثي عام 1956 إشارة واضحة من قبل هذه القوى للحكومة المصرية لوضع حد لدعمها العلني لجهة التحرير الوطني. فتحي الديب، مصدر سابق، ص 237.
- 27- سهام بوعموشة، «الضفادع البشرية القوة الخفية للثورة الجزائرية» جريدة الشعب، 3 ديسمبر 2016.

28- الطريق الى إيلات هو فيلم مصري انتج في عام 1993 من اخراج إنعام محمد علي سيناريو فايز غالي، وهو من نوع حربي يدور احداثه حول بطولة الضفادع البشرية ونجاح مهمتهم بأداء رائع وبطولي.

29- محمد زروال، مرجع سابق، ص 68.

30- استهدفت فرنسا الاستعمارية فصل أكبر جزء من التراب الجزائري كنتيجة مباشرة للمسار الذي عرفته الثورة بعد 1956 ولتفصيل هذا الأمر استصدرت عدة إجراءات تشريعية وإدارية وسطرت برنامجا اقتصاديا استغلالات للثروات الاقتصادية، إلى جانب سلسلة من التدابير السياسية، الإدارية والعسكرية سعيها منها إلى إبقائها خارج دائرة المد الثوري تمهيدا لما سيسفر عنه مستقبل الثورة الجزائرية.

31- يبدو ان الرائد إيدر الذي وصفهم برجال مصر كإشارة الى الوفد الخارجي وهو ما يوحي لنا إلى الصراع القائم بين بن بلة والقيادة الجديدة التي خرجت بعد قرارات مؤتمر الصومام 1956 للضفر بالقيادة ومن أجل التخلص منهم أرسلوا للصحراء بعيدا عن التخصص الذي أخذوه كضفادع بشرية بمهمة في البحر.

32- watan, 30 mai 2019

33- شهادة عبد الله دباغ، لقاء الذاكرة، التلفزة الجزائرية الثالثة، 29 فيفري 2020.

34- ولمزيد حول هذه المعركة أنظر بشير مديني، «معركة إيسين والثورة الجزائرية المباركة 5 أكتوبر 1957» مجلة أول نوفمبر ع 168، جويلية 2006، ص 92. أنظر أيضا عبد الله مقلاتي، العلاقات الجزائرية المغربية، إبان الثورة التحريرية الجزائرية 1954-1962، أطروحة دكتوراه، جامعة قسنطينة، 2007-2008، ص 362، 363.

35- الشعب 03 ديسمبر 2016.

36- watan, 30 mai 2019

37- شهادة عبد الله دباغ وعثمان دمارجي، التلفزة الجزائرية الثالثة، 25 ديسمبر 2011.

38- watan, 30 mai 2019.

39- شهادة عبد الله دباغ وعثمان دمارجي، التلفزة الجزائرية الثالثة، 25 ديسمبر 2011.

40- محمد مصطفى طالب، من أيام حرب التحرير 1954-1962، المديرية العامة للتدريب الغربية، 2003، ص 68.

41- شهادة بشير عقاب، التلفزة الجزائرية الثالثة، 25 ديسمبر 2011.

42- محمد مصطفى طالب، مصدر سابق، ص 68، 69.